**الفكر السياسي القديم والوسيط**

**المحاضرة الرابعة**

**السفسطائيون**

 في اليونان القديمة برزت مجموعة من المعلمين المتجولين وهم أساتذة قادمون من مُستعمرات إغريقية أشعلوا الفكر الآثيني بآرائهم الجديدة والجريئة فيما يتعلق بأشياء قبلًا غير قابلة للمساس كالحديث عن الآلهة والفضائل.
حقيقةً لم يُخلف لنا السفسطائيين من تراثهم إلا النذر القليل بينما وصلت معظم أفكارهم من خلال الحديث النقدي لأفلاطون عنهم في محاوراته كما ذكرهم أرسطو أيضًا في سياق نقدي؛ ولذلك فإن استخلاص فِكر السفسطائيين من خلالهم أمر جدلي حيث أن شهادتهم في حق السفسطائيين تعتبر شهادة مجروحة.

على أية حال، فمن المتفق عليه أن السفسطائيين كانوا يعتقدون بأنه حتى لو وجدت إجابات للأسئلة الفلسفية فإن الإنسان لا يستطيع الوصول إلى يقين فيما يخص ألغاز الطبيعة والكون، وأن علينا كبشر أن نعلم كيف نعيش معًا؛ ولذلك اجتمع السفسطائيين على الاهتمام بالإنسان وموقعه في المجتمع وفي هذا قال (بروتاجوراس-Protagoras): «الإنسان هو مقياس كل شيء».
رأى بروتاجوراس أن الفضائل ليست غريزية أو فطرية وإنما تُعَلَم وتُكتسب؛ ولذلك فالإنسان يحتاج إلى معلم كي يرشده ويعلمه الفضيلة وقد استند بروتاجوراس في ذلك على مصطلحين هامين (الطبيعة-Physis) و (الاتفاق- Nomos) فهو يميز بين ما هو موجود في الطبيعة دون تدخل للإنسان وبين ما يوجده الإنسان ويُتَفَق على استخدامه وينتقل بذلك من جيل لآخر؛ وبالتالي كانت الفضيلة تنتمي لما يُتفق عليه ومن ثم كانت الفضائل عند بروتاجوراس وغيره من السفسطائيين نسبية، ومن هذه النقطة صاح سقراط ومن بعده أفلاطون وأرسطو في وجه السفسطائيين لاعتقادهم بأن الفضائل مُطلقة وثابتة.
فيما يتعلق بالآلهة فيمكننا أن نقول أن السفسطائيين كانوا (لاأدريين) فلم يحسموا القول فيما يتعلق بوجود آلهه حيث قال بروتاجوراس: «إنها مسألة دقيقة، وحياة الإنسان قصيرة».

كما أسلفنا الحديث عن مصدر قوة السفسطائيين (الكلمة) فقد أثرت خطابات السفسطائيين تأثيرًا عميقًا في المجتمع الأثيني حينها وفي الفكر الغربي على المدى البعيد. بلاغة القول وطلاقة اللسان وقوة الحجة هذا المزيج الذي أضفى على خطاباتهم تأثيرًا أخّاذ وساحر وممتد حتى مع معارضة فلاسفة عظام أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو، ووصلت قوة إقناع السفسطائيين حتى أنهم كانوا قادرين على قلب الحقائق وتزيينها حتى أنها لتكون مقبولة من جهة المُستمع.